

أعضاء البيان

@ 86 @ الاستثناء وهل هو خاص بإبراهيم لأبيه أم لماذا ؟ .

وقد بينه تعالى في موضع آخر في قوله تعالى : { وَ مَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ فَلَمْ تَكُ تَبْدِيَنَّ لَهُ أُنْزَاهُ عَدُوًّا لِلَّهِ تَبَرَّرَ أَمْ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ } تلك الموعدة التي كانت له عليه في بادء دعوته حينما قال له أبوه { أَرَأَيْتَ إِنْ كُنْتُ جَاهِلًا بِمَا تُدْعَىٰ إِلَيْهِ فَاصْبِرْ } يا إِبْرَاهِيمُ لَأَكُونَنَّ مِنْ الْمُجْرِمِينَ تَنْتَهَ لِلْأَرْجُومِ ذِكْرًا وَاهْجُرْ نِيَّ مَلِيًّا قَالَ سَلَامٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا { فكان قد وعده ووفَّى بعهده ، فلما تبين له أنه عدوٌّ تبرأ منه ، فكان محل التأسي في إبراهيم في هذا التبرؤ من أبيه ، لما تبين له أنه عدوٌّ . . .

وقد جاء ما يدل على أنها قضية عامة وليست خاصة في إبراهيم عليه السلام كما في قوله تعالى : { مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لَهُمْ } وفي هذه الآية وما قبلها أقوى دليل على أن دين الإسلام ليس فيه تبعية أحد لأحد ، بل كل نفس بما كسبت رهينة ، ولا تزر وازرة وزر أخرى ، وأن ليس للإنسان إلا ما سعى . .

ومن عجب أن يأتي نظير موقف إبراهيم من أبيه مواقف مماثلة في أمم متعددة ، منها موقف نوح عليه السلام من ابنه لما قال { رَبِّ إِنِّي ابْنُكَ مِنْ أَهْلِي وَإِنِّي وَاعِدُكَ الْخُلُقُوتِ وَأَنْتَ أَجْدَكُمُ الْكَافِرِينَ } فلما تبين له أمره أيضاً من قوله تعالى : { يٰنُوحُ إِنَّا نَبَاكَ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّا نَبَاكَ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّا نَبَاكَ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ } { قَالَ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ بِيْهِ عِلْمٌ } . فكان موقف نوح من ولده كموقف إبراهيم من أبيه . .

ومنها موقف نوح ولوط من أزواجهما في قوله تعالى : { ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا
لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ امْرَأَاتٍ زُوجٍ وَامْرَأَاتٍ لَّوْطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ
مِّنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمَّ يُغْنِنِنَا عَنْهُمَا مِّنَ
اللَّهِ شِدْقًا } . . .

ومنها موقف زوجة فرعون من فرعون في قوله تعالى : { وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا }
لِلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ

بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجَّيْنِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجَّيْنِي مِنَ
الْقَتْلِ الطَّالِمِينَ { فتبرأت الزوجة من زوجها ، وهذا التآسي قد بين تمام البيان
معنى قوله تعالى : { لَنْ نَنْفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ } أي ولا آباؤكم
ولا أحد من أقربائكم ، يوم القيامة يفصل بينكم ، وقول إبراهيم لأبيه { وَمَا أَمْلِكُ
لَكَ مِنَ اللَّهِ